مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج ١١ — ١٢
ربيع الأول — رجب / ١٤٠١هـ

السنة الرابعة
كانون الثاني — حزيران ١٩٨١م.

التراث الفكري في غابر اليمن وحاضرها

للقاضي اسماعيل بن علي الأكوع

حظيت اليمن على مدى عصورها الاسلامية بوفرة انتاجها العلمي ، وتدفّق عطائها الفكري ، فلم يُؤثر على الاطلاق أن تخلّف علماء اليمن المبرزون ، أو جمدوا على رأي مَنْ قبلهم ، أو وقفوا عند فكرة معينة ، بل كانوا يندفعون مُجددين ومُبدعين في شتى ميادين الفكر — ولا سيما علوم الاجتهاد —⁽¹⁾ ولم يفتهم فن من فنون الثقافة الاسلامية ، ولا علم من علوم حضارتها إلاّ ركبوا مَتْنَه ، وخاضوا عُبابه واتوا بالعجب العجاب فأثْروا بثمار عقولهم المكتبة العربية الاسلامية وأمدّوها بذخائر الفكر ، وخلّفوا ثروة طائلة من الأبحاث والمصنفات العديدة . ولم ينقطع نشاطهم الفكري حتى في الفترات العصيبة التي كانت اليمن خلالها تتعرض لمحن قاسية وحروب أهلية ضارية تعصف بأمنها واستقرارها ، وتمزق أوصالها ، وتأتي على الأخضر واليابس .

وقد تعدّدت مناحي تلك الأبحاث والمصنفات في الأدب واللغة وعلوم العربية والتشريع والعلوم الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والترجمة والفلك والطب بنوعَيْه والزراعة وغير ذلك ، وتنوع بعضها بتنوع ألوان الحكم في اليمن ، واتّسم بعضها بطابع المذاهب والعقائد ،

---

(١) من أسس المذهب الزيدي فتح باب الاجتهاد والدعوة اليه لمن ملك وسائله من علوم العربية ، وكان من أبرز علماء اليمن المجتهدين الذين لم يتقيدوا بأي مذهب من المذاهب الاسلامية المشهورة ، نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ، ومحمد بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ ، والحسن بن أحمد الجلال المتوفى سنة ١٠٨٤ ، وصالح بن مهدي المقبلي المتوفى بمكة سنة ١١٠٨ ، ومحمد بن اسماعيل الامير المتوفى سنة ١١٨٢ ، ومحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ .

فكان لكل مذهب مؤلفاتـه ، ولكل عقيدة مصنفاتها ؛ فكان هناك كتب اهل السنة ، وكتب الزيدية بفروعهـا (٢) وكتب الشافعية ، وكتب الحنفية ، كما كان هناك ايضا كتـب الاسماعيلية (الباطنيـة) .

ثـم ظهر الاعتزال في اليمن في المائـة السادسـة حينما قـدم اليها زيـدُ بن الحسن بن علي البَيْهقي البروقاني سنة (٥٤٠) (٣) بتكليـف من الشريف علي بن عيسى بن حمزة السُلَيْماني (٤) رئيس العلماء بمكـة في عصره ـ وكان زيدي المذهب ـ لمـا بلغه من انتشار المُطرفية فـي اليمن فعهد الى البَيْهقي بالمسير الى اليمن ليصدّ اهـل اليمن عن اعتناق هذا المذهب الذي كان قـد انتشر في اليمن الأعلى ، فقَـدِم كمـا ورد في ترجمته ـ ومعه كتب غريبة وعلـوم عجيبة ، فنزل بصعدة فأقام بهـا سنتين ونصف السنة يدرّس وينشر الاعتزال ، ثـم ذهب الى هِجـرة مُحْنَكَة (٥) حيث كان يوجد بهـا الامام احمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ فأخذ عنه الامام وشاركه في ذلـك القاضي جعفر بن احمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٢ . ثـم رحل القاضي جعفر الى العراق فوجـد مذهب المعتزلة منتشراً هناك ، ووجـد من بقي فيه من الزيدية قـد تحولوا الى الاعتزال فأخذ عنهم ، ثم عـاد الى اليمن ومعه كتب كثيرة .

---

(٢) الهادوية والمطرفيـة والحُسَيْنية .

(٣) نسبة الى بروقن : قريـة من نواحي بلخ من خراسان . وكان عالـا من علماء زيدية الجيـل والديلـم .

(٤) وهـو الذي اهدى اليه جـار الله الزمخشري تفسير الكشاف المشهـور في صـدر مقدمـة الكتـاب .

(٥) مُحْنَكَة : بلـدة صغيرة في بـلاد خولان بن عمرو بالقرب من حَيْدان ، وكانت احدى هِجَر العلم المنتشرة في اليمن . ولنـا كتاب عن الهِجَر في اربـع مجلدات سيصـدر قريبا ان شاء اللـه .

وكـان اهتمام الامام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنـة ٦١٤ بالاعتزال لا حدود لـه ، فقد بذل جهوداً كبيرة في الحصول على كتب المعتزلـة وبعث علماء الى خارج اليمن ليقتنوا لـه كتبها شراء واستنساخا فجمعت مكتبتـه (٦) منها ومن غيرها عدداً كثيراً حتى صارت من اغنى المكتبـات في اليمن .

وقـد انتشر الاعتزال عند علماء الزيدية فكانوا هادوية في الفروع ، معتزلة في الأصول ، إلاّ في مسألة الإمامة فقـد خالفوا المعتزلة (٧) ، كما ان المجتهدين من علمـاء الزيدية الذين تحرروا من المذهب وعملـوا بالكتاب وصحيح السنة قـد وقفوا من الاعتزال موقفاً معارضاً ، وكـان على راس هؤلاء العلامة المجتهـد محمد بن ابرهيم الوزير ومن قبلـه العلامة حُمَيْدان القاسمي من اعلام المائـة السابعة الذي وقف موقفـاً معارضاً للاعتزال ، ولـه مؤلفات في ذلك .

كـان في اليمن عدد كثير من خزائن الكتب ، وكان احفلها بنفائس الكتب ونفائسها خزائن الملـوك والائمة والامراء ، اذ كان لهم من اهتمام كبير في جمع الكتب واقتنائها والاستكثار منها كما هـي عاداتهم في كل زمان ومكان ؛ وكان اشهر تلـك الخزائن خزانة السلطان الملك المؤيـد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفـى سنـة ٧٢١ اذا كانت تحتوي على مائة الف مجلد ـ كما يقول اليافعي في مرآة الجنان،والدَّميري في حيـاة الحيوان ـ فقد كان يهوى جمـع الكتب

(٦) الامامة عنـد الزيدية محصورة في اولاد الحسنَيْن وعند المعتزلة في الأعلم والأتقى من المسلمين .

(٧) كانت مكتبته في هجرة ظفـار ذيبين : مقر سلطان ودار ملكه . وقـد تفرق كثير منها بمرور الايام وبقي منها بقيـة صالحة نقلها الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٦٧ الى جامـع صنعاء كما سيأتي بيـان ذلك قريبا .

والتحف فكانت تحمل اليـه من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك اكثر مـن عشرة نساخين ينسخون الكتـب وترفع الى خزينته بعد مقابلتها . ولمـا اهدي اليه كتاب الاغاني بخـط ياقوت الحموي اجاز المهدي مائتي دينار مصرية ، وقيل مائة الف كما ذكـر ذلك ابو الفدى في تاريخه .

ومـن المكتبات الشهيرة مكتبة الامام المنصور القاسم بن محمـد المتوفى سنة ١٠٢٩ ومكتبات اولاده واحفاده لأنهـم كانوا علماء مبرزين فاجتمع لهـم بحكم علمهم وإمارتهم مـن نفائس المخطوطات ونوادرهـا ما لم يجتمع لغيرهـم .

وكانـت مكتبة عمر بن علي بن محمد بن ابي بكر العلوي المتوفـى سنة ٧٠٢ من المكتبـات الشهيرة في زبيد ، فقد كان فيها كمـا يقـال خمسمائة ديوان (٨) من الشعر كمـا ورد في ترجمته . وورد في ترجمـة الأمير عبد الله بن العباس الحجاجي المتوفى سنة بضع وسبعين وستمائة بانـه جمع من الكتب ما لم يجمعه احـد من نظرائه حتى قيل : ان خزائنه في مدينة الجَنَـد جمعت اكثر من خمسة الاف كتـاب . وورد في ترجمة جمال الدين الريمي المتوفى سنة ٧٩١ بـان مكتبته كانت تضم الفي كتاب .

وهنـاك كتب كثيرة موقوفة على الجوامع والمساجد فتوجد مكتبة في جامع صنعاء ، ومكتبة في جامع زبيـد ومكتبة في مسجد الأشاعر بزبيد ايضا ، ومكتبة في جامع المُظَفّـر بتَعز ، ومكتبة في جامـع الامام الهادي بصعدة ، ومكتبة في المدرسة الشمسية بذمـار ، ومكتبة في جامـع ذي جبلة ، ومكتبة في جامع ابّ ، ومكتبـة في جامع شهارة ، ومكتبة في جامع هِجْرة ظَفير حجّة ، ومكتبـة في جامع ضُوران ، ومكتبة في جامع الرّوضة ،

---

(٨) العقود اللؤلؤية ١ / ٢٥٦ وانظر ترجمته في كتابي (المدارس الاسلامية في اليمـن) ٪ ١٤٨ .

ومكتبة في قبـة طَلْحة بصنعاء ، ومكتبة في قبـة المهدي العباس بصنعاء . وجميع هذه المكتبات هي من اوقـاف العلماء والفضلاء والأئمة والملوك والأمراء ، ولكنها قـد تناقصت وفُقِد اكثرها ، ولم يبق في بعض هـذه المكتبات إلاّ النزر اليسير ، وفي بعضها لم يعـد لها اثر . ويعود السبب الـى ان المستعيرين للكتـب من هذه المكتبـات كـان اكثرهـم لا يرجـع مـا استعاره ـ كمـا حـدث في مكتبـة المدرسـة الشمسية في ذمار ، فقـد سمعتُ من والدي رحمه اللـه ان كثيراً مـن شيوخ العلم بهـا وذكر اسماء بعضهم كانوا يستعيرون الكتب وتبقى لديهم بعذر انهـم محتاجون اليها لتدريس طلابهم فـلا يرجع من تلـك الكتـب إلاّ مـا نـدر .

ومـن اسباب فقدانها الاهمال والضياع وسرقة ما امكن ، وتهاون حفّاظ بعض تلك المكتبـات في الحرص عليها فكانوا اذا اعوزتهم الحاجة باعوا منها ما أمكن . وقـد وجدتُ بعضاً من هذه الكتـب معروضة للبيع وهي في الأصل من وقـف بعض المساجد واخذتها واحتفظت بهـا فـي المكتبة الغربية بجامـع صنعاء .

وقـد تعرضت مكتبة جامع الامام الهادي بصعدة لنهـب معظـم محتوياتها حينما كانـت تحترب القوات الملكيـة والقـوات الجمهورية للاستيلاء على صعدة وحدث الشيء نفسه لمكتبـة ظفير حجة ولا اعرف بالتحديد مـا كان يوجد في تلك المكتبات كلها إلاّ انّـه يوجد فيما بقي من مكتبة جامع الهادي بصعدة بعض اجـزاء من التِبيّان في احكام القرآن (٩) لنشوان بن سعيد الحِمْيَرِي وهـو من الكتب النادرة (١٠) ، ويوجـد كذلك

---

(٩) نهـجَ في تفسيره طريقة خاصة فهو يأتي بالاية ثـم يرد فيها بالقراآت ثـم اللغة ثم اسباب النزول ثـم النظم وهو ارتباط الاية بما قبلها ثـم المعنى فالأحكام .

(١٠) يوجـد بعض اجزاء منه في مكتبة الامبروزيانا في ميلانو بايطاليا .

ضياء الحلوم لمحمد بن نشوان الحميري مختصر من شمس العلوم في اللغة ويوجد فيها ايضا نظام الغريب . ويوجد فيما تبقى من مكتبة جامع تعز ، وهي من اوقاف ملوك بني رسول ، شرح المفصل للزمخشري منسوخ في المائة السابعة في عصر المؤلف،والاكمال لابن ماكولا المتوفى سنة ٤٨٦ (الجزء الرابع)،وديوان الأدب لاسحق بن ابرهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ (الجزء الاول) بخط نفيس،وبعض أجزاء من البيان في فقه الشافعية ليحيى بن ابي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ واجزاء من التفقيه شرح التنبيه (لابي اسحق الشيرازي) تأليف جمال الدين الريمي .

ويوجد في جامع الروضة نحو اربعمائة مجلدة منها نسخة اثرية من شمس العلوم لنشوان الحميري ، ويوجد في قبة طلحة بصنعاء مجموعة من الكتب النادرة تبلغ خمسمائة مجلدة ، وهي من وقف بانيها الامام المهدي عبد الله بن المتوكل احمد المتوفى سنة ١٢٥١ ، وهي مما اقتناها وورثها عن والده الذي يقال إنه كان في خزانته آلاف الكتب . وفي هذه المكتبة مجموعة من المصاحف الاثرية المذهبة بعضها بخط ياقوت المستعصمي .

على ان اثرى هذه المكتبات هي مكتبة الأوقاف بجامع صنعاء وهي مجموعة من وقف الحاج سعيد بن علي البواب الحاشدي ، ووقف القاضي محمد بن قَيْس ووقف الامام المهدي احمد بن الحسن بن الامام القاسم ، ومن وقف النقيب الماس وبها كتب كثيرة من مكتبة آل الوزير ، فقد ذكر العلامة يحيى بن الحسين بن الامام القاسم في كتابه (طبقات الزيدية) في ترجمة صلاح بن احمد بن عبد الله الوزير ما لفظه : ولهم خزانة كتب جمعوها ما زال اللاحق يجمع الى ما جمعه الأول حتى اجتمعت كتب كثيرة ، ثم ما زالت الى زماننا هذا ، وذكر لي بعض

اولادهم ان الباقي منها مائــة مجلد من اعيانها : الديباج للقاضي عبد الله الدوّاري ، والمحجة البيضاء لعبد الله بن زيــد ، وجامع آل محمد ستة مجلدات ، وجامع المسانيــد لابن الجوزي في الحديث ، والمنهاج الجلي في مذهب زيــد بن علي ثلاثة مجلدات ، وهي نسخة قُرئت على المصنف ، وكتب ضياء الحلوم في اللغــة مجلدات ، وكتاب تهذيب الحكام ثمانيــة مجلدات ، والأطراف للمزي في الحديث ، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة ابــي القاسم للسيد محمد بن ابرهيم الوزير في اربعــة مجلدات ، وتفسير الهادي ، وشرح المنتهى الكبير ، وجــزء كبير من تاريخ الخطيــب في الحديث والتراجم ، وتاريخ مسلــم اللحجي،وسيرة علي بن صلاح في جزاين ، وجزء من سيرة والــدة صلاح الدين وغير ذلك من الكتب ثم قال :

وفي هــذا الوقت طلب آل الوزير قسمتها بينهــم وتصرفوا فيها وتفرقت بعــد أن كانت مجتمعة وذكر لــي بعض اولادهم انها كانت في بيــان بخط آبائهم قــدر تسعمائة كتاب ورايت البيان كذلك ، فلــم يبق منها الا القدر المذكور . نعــم ، وبعد قسمتها وتفرقها كما ذكر ، امــر الامام المتوكل على الله اسماعيل ـــ رضوان الله عليه ـــ بجمعها كما كانت مجموعة فجمع منها بعضها ممــا امكن جمعها ، وجعلت في خزانة في اروى مؤخر جامع صنعاء وهي فيــه الآن ، ولم يبق للسادة (بيــت الوزير) فيهــا تصرف (١١) .

وقــد امــر الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ببنــاء خزانة في الجامع الكبير لهذه الكتــب الموقوفة وتــم بناؤه سنة ١٣٤٤ وجمع اليها الكتب الموقوفة ثــم اضاف اليها ما بقي من خزانة الامام عبد اللــه ابن حمزة في هجرة ظفار ذيبين ، كما ضم اليها ما بقي من كتب الأمير محمد

(١١) معظم هذه الكتب لم يعــد لها وجود .

لبني الحسن بن الامام القاسم الموقوفة على ذريته بعد ان قلّ المنتفع منهم بها وغير ذلك من الكتب الموقوفة ، ثم نقل اليها المصحف الكوفي المكتوب على الرق من مسجد الشهيدَيْن بصنعاء بعد ان ذهب من آخره عدة اجزاء وهو من أقدم المصاحف في العالم ، ويظهر ان احد سَدَنة مسجد الشهيدين قد نزع بعض أوراقه وباعها لهواة المخطوطات مع ان هذا المصحف كان كاملاً الى ما قبل نحو ثمانين سنة ، فقد ذكر القاضي العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الحجري — رحمه الله — في مقدمة فهرسته لهذه المكتبة ما يلي : « وقد أخبر جماعة من علماء العصر ممن كان شاهَد هذا المصحف وقراه انّه كان كاملاً وانّهم شاهدوا في خاتمه ما لفظه (وكتبه علي بن ابو طالب) وممن أخبر بهذا القاضي العلامة محمد بن عبد الله الجنداري انه شاهد هذا سنة ١٣١٢ . وأخبر السيد العلامة علي بن حسين الشامي عن شيخه صفي احمد بن عبد الله الجنداري بمثل ما تقدم ، وروى القاضي العلامة الصفي احمد بن أحمد الجرافي عن شيخه العلامة علي بن حسين المغربي بنحو هذا وزاد انه كان يجنب اسم امير المؤمنين علي رضي الله عنه ما لفظه : « وزيد بن ثابت » . وأوقف عليها الامام يحيى مجموعة ثمينة ونفيسة من المخطوطات (١٢) كما اوقف عليها مكتبة ابنه الأمير سيف الاسلام محمد البدر الذي مات غرقا في البحر في آخر سنة ١٣٥٠ .

---

(١٢) ولعلها هي الكتب التي استخرجها من شهارة . فقد ذكر القاضي احمد بن عبد الله الجنداري في كتابه الجامع الوجيز في ترجمة لطف الله بن محمد بن الغياث المتوفي بظفير حجة سنة ١٠٢٥ ما لفظه ان كتب السيد محمد الولي التي تخلفت من الطائف الى جدة وجعل امر ولايتها الى الشيخ لطف الله بن الغياث وعددها اربع عشرة مجلدة ثم عهد بها الى تلميذه الامير الحسين بن الامام القاسم بن محمد ونقلت الى شهارة ثم قال الجنداري وقد ذهب اكثرها وبقي بقية في شهارة استخرجها سيف الاسلام يحيى (الامام يحيى) بن المنصور .

ويقدر عددها في هذه الخزانة بنحو خمسة آلاف كتاب مخطوط (١٢) ويوجد فيها من نوادر المخطوطات ما لا يوجد في غيرها فيها مثلا ديوان ذى الرمة مكتوب بالخط الكوفي من المائة الثالثة وكذلك الكتاب لسيبويه الجزء الرابع والثامن من القرن الثالث ، ويوجد بها كتاب المُغني في اصول الدين للقاضي عبد الجبار بن احمد شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٤١٥ . وهو مما نقل من مكتبة الامام عبد الله بن حمزة ، والموجود منه المجلد الاول والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسادس عشر والعشرون . ويلي الجزء الاخير (الجواب الناسم المُغني لشُبَه المُغني) للعلامة محمد بن احمد بن علي بن الوليد من اعلام المائة السادسة وقد ناقض فيه القاضي عبد الجبار فيما خالف فيه الزيدية في مسألة الامامة وقد كتب برسم مكتبة الامام عبد الله بن حمزة . وقد صورته بعثة جامعة فؤاد (جامعة القاهرة) فيما صورته سنة ١٩٥٢ ونشر الموجود منه في مصر تحت اشراف الدكتور طه حسين .

ويوجد بها القاموس المحيط بخط جميل جدا ، وهو مجدول بالذهب ، ويوجد بها الاسعاف شرح شواهد الكشاف للشيخ خضر بن عبدالله الموصلي اكمل تأليفه سنة ١٠٠٣ وهو تاريخ نسخ الكتاب ويقع في مجلدين بخط جميل مزخرف بالذهب .

وفي هذه المكتبة عدد كثير من الكتب بخط مؤلفيها مثل الايجاز في علوم الاعجاز وكذلك الانتصار وكلاهما للامام يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ والفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار وتحفة الذاكرين شرح عدة

---

(١٢) سنبدأ بفهرستها في مطلع العام ١٤٠٢ — (١٩٨٢) ان شاء الله .

الحصن الحصين ، ووبل الغمام على شفاء الاوام ، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار وجميعها لشيخ الاعلام محمد بن علي الشوكاني ، وبهما بعض اجزاء من فتح الباري بخط مؤلفه الحافظ بن حجر ، وتراجم آل الوزير بخط مؤلفه الهادي بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ ، كما يوجد بها رسائل بخط البدر محمد بن اسماعيل الامير والحسن بن احمد الحلال ويحيى بن الحسن بن الامام القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ وغيرهم.

ويوجد في الجامع الكبير مصاحف نادرة مذهبة في غاية من جمال الخط واتقانه كما وجدنا في الخزائن العلوية في سطح الجامع مجموعات كثيرة من المصاحف المبعثرة النادرة المكتوبة بالخط الكوفي على الرق وتقدر بأكثر من خمسة عشر كيساً عدا ما فُقِد منها نتيجة الإهمال والضياع .

وتوجد بجامع صنعاء مكتبة أخرى تعرف بالمكتبة الغربية وهي تحتوي على مكتبة الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين وقد نقلتُها من قصره (دار السعادة) الى الجامع الكبير منذ بضع سنين ثم مكتبة الامام احمد بن الامام يحيى وقد كانت في قصره (بستان الخير) بصنعاء ثم اضيفنا اليها مكتبة في قصر (سِمْدان) بمدينة حَجَّة بعد ان تم نقلها سنة ١٣٩٧ (١٩٧٧) . ويوجد ايضا بعض المخطوطات التي كانت في قصور الأمراء . كما تم نقل مخطوطات مكتبة المدرسة العلمية بصنعاء التي انشأها الامام يحيى سنة ١٣٤٤ الى المكتبة الغربية . ويوجد بها ايضا مكتبة آل الوزير (١٤) المتأخرين وقد صادرها الامام احمد من قصورهم سنة ١٩٦٧ في اعقاب استيلائه على صنعاء واستعادته الحكم منهم .

---

(١٤) الامام عبد الله بن احمد الوزير والأمير علي بن عبد الله الوزير .

كمـــا ان بها مكتبة شيخنا العلامة ثابت بن سعد بهران وقد اوقفها على هذه المكتبـــة وفيها مجموعة كثيرة من المخطوطات وجاءت مــــن المطبوعات . ثم الحقنا بها ما تــمّ شراؤه من المخطوطات ويقــدر بنحــو الــف وخمسمائة مجلـــدة ورسالة . وتحتوي مكتبـــة الامام يحيى على نفائس الكتب ونوادرها ، فهي غنيـــة بالمخطوطات الفريدة التي لا نظائــر لهـــا في المكتبات الاخرى ، فمنها سير اعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنـــة ٧٤٨ والسلوك في طبقات العلماء والملـــوك للجندي المتوفى سنـــة ٧٣٠ والمسجد المسبوك والزبرجد المحوك لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ ، وكذلك طراز اعـــلام الزمن في طبقات اعيان اليمن لـــه ايضا وغير ذلك مـــن النوادر .

وقـــد تمت فهرســة قسم كبير من المخطوطات بالتعاون مـــع المجلس الوطني للثقافة والفنـــون والآداب في الكويت ، وقامت الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بطبعه ونشره ويقع في الـــف صفحة ويشمل ١٩٧٨ مجلـــدة وهي تحتوي على (٤٢٣٦) موضوعا منهـــا (٢٧٥٢) مدخل عنـــوان مستقل و (١٤٨٤) مدخل عنوان متكرر . وقـــد شمل المواضيع التاليـــة التفسير والقـــراءات والحديث والسيرة وعلـــم الكلام والفقه واصول الفقـــه الفرائض ــ وقد استاثرت هذه العلوم بمعظم ما في المكتبة ــ ثـــم المعارف العامة والادب والتاريخ والمنطق والعلـــوم الاجتماعية والعلوم الخفية واللغـــة والجغرافيا والبلاغة والنحو والصرف والعروض والقوافي والرياضيات والفلك والطب والطب البيطري والزراعـــة .

ونعمـــل الآن على اكمال فهارس بقية ما لـــم يفهرس من هـــذه المكتبة ثـــم مكتبة الاوقاف ان شاء اللـــه .

توجـــد مكتبات خاصة كثيرة في كثير من المـــدن وهجر العلم فـــي اليمن لا نعرف عن محتوياتها الا ما نـــدر بالسماع واحيانا بالمشاهدة .

ففي صنعاء مثلا اكثر من اربعين مكتبة وفي كل من الروضة وذمار ورداع ويريم واب وتعز وذي جبلة ، وزبيد وبيت الفقيه والتُحَيْتا والمَرَاوعة والمَنيرة والزَّيدِيَّة وحَجَّة وصَعدة وحُوث وشَهارة وهِجَر الأهنوم مثل المَدان ومَعْمَرة والمُنسَّق وعِلمان ، وكذلك حَبوُر والمداير والسُّودَة والكِبْس وإريان والذَّاري وذيبين وخَمِر وثُلاء وشِبام وكوكبان والطويلة ومَناخة وعزّ الحيمة وغيرها من المدن والهِجَر عدد كبير من المكتبات المشهورة وسأذكرها بالتفصيل في بحث قادم ان شاء الله تعالى .

ومما يوجد في هذه المكتبات الخاصة ومكتبات الأوقاف ومكتبتي الجامع الكبير لا يمثل الا القليل مما كان يوجد في اليمن من تراثها المشهور فقد فُقدت آلاف المخطوطات ، منها ما ذهب ضحية إغارة القبائل على المدن لا سيما صنعاء وصعدة حيث كانوا يتلفون كثيراً منها حرقاً وتمزيقاً ، وما سَلِم منها يُفقد احياناً العنوان واسم المؤلف فيصبح مجهول الاسم والنسب . وكان آخر مرة تعرضت صنعاء فيها لمثل هذا الزحف القبلي العارم سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) حينما تولى الامام عبد الله بن احمد الوزير الحكم في اعقاب مقتل الامام يحيى فحرض الامام احمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٨٢ (١٩٦٢) القبائل على دخول صنعاء حتى يتمكنوا من اخذ الثأر من قتلة والده فتدافعت القبائل بأسلحتها ومعاولها وما بها الحرص على نصر حق وازهاق باطل او إقامة إمام واسقاط إمام آخر بقدر ما كانت الاطماع تحركها لنهب بيوت صنعاء والاستيلاء عليها وعلى ما بها من كنوز وتحف واموال فاقتحمت الأسوار ، ودخلت البيوت ونهبت ما فيها واقتلعت الأبواب والنوافذ ، ودمرت وافسدت خلال ثلاثة ايام حضارة مئات السنين ولم تَسْلم إلا قلة من البيوت ، منها بيوت آل حميد الدين واصهارهم وانصارهم وبعض بيوت استطاع اهلها حمايتها والدفاع عنها بالمال .

وربما كان أشد عوامل التلف والتدمير للكتب ما كان يقوم به الحاكم من اتلاف كتب مخالفيه في العقيدة او المذهب كما حدث للمطرفية فقد قضى عليها الامام المنصور عبد الله بن حمزة وقضى على تراثها مع أن المطرفية هم من الزيدية ، ولكنهم خالفوها في مسائل فكفروهم بالإلزام فعلماء التطريف مثلا يرون في الامامة انها تصلح في الأتقى والأعلم كالمعتزلة .

وكما حدث لكثير من تراث الشافعية في زبيد ونواحيها فقد قضى عليه علي بن مهدي الرعيني سنة (٥٥٤) بعد ان ولي الحكم في زبيد ونواحيها وقتل كثيراً من علماء الشافعية لأنه كان حنفي المذهب ثم جاء اولاده بعده فقتلوا علماء الشافعية في الجَنَد ونواحيه .

وكذلك فإنّ اهمال الكتب وتركها من دون استعمال يعرضها للتلف كما حدث ويحدث لآلاف الكتب التي اتلفتها الرطوبة والأرضة وغيرها من سائر الآفات المسلطة على الكتب لا سيما في زبيد والمناطق الحارّة الأخرى فإنّ التلف يُسرع اليها اذا لم تُستعمل او يُحافظ عليها باستمرار .

وهناك كثير من تراث اليمن قد تسرب الى اقطار اخرى مما نهب من اصحابه أو اشتري من ورثة اصحابها اذا كانوا جهلة أو كانوا محتاجين . فكثيرا ما كانت تتعرض صنعاء والمدن الاخرى لحصار القبائل فتشتد الحاجة بالسكان وتنقطع عنهم موارد الرزق فيتدافعون لانقاذ انفسهم من الموت ببيع ما تحت ايديهم من كتب وتحف ونحوهما مستشهدين بقول الشاعر :

وقد تُخرج الحاجات يا امّ مالك   كرائم من ربّ بهنّ ضنين

وكان اشد حصار عرفته صنعاء في هذا القرن هو حصار سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) حينما حاصرتها قوات الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ لأنه كان فيها حامية عثمانية فنال الناس في صنعاء من ذلك الحصار بلاء ومجاعة شديدة فمات فيها من مات من الجوع والامراض واستفدى القادرون حياتهم بنفائس ما كان معهم .

وقد اشترى بعض موظفي الدولة العثمانية في اليمن كتبا كثيرة ومنهم المستشار حسني باشا الذي كان مستشار الوالي العثماني حسين حلمي باشا الذي قدم الى اليمن سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) فقد اشترى كتبا كثيرة منها كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة ابي القاسم) بخط مؤلفه محمد بن ابرهيم الوزير باعها له محمد بن عبد الله بن الامام محمد بن عبد الله الوزير وقد نقلوها الى بلادهم فانتهى اكثرها الى المكتبات الكثيرة الشهيرة في تركيا ففي مكتبة علي اميري باصطنبول مثلا نحو ثلاثة آلاف مخطوط من اليمن وبعض الكتب التي كانت تنقل الى اصطنبول كانت تباع لتجار الكتب من الغرب وقد رايت عددا من المخطوطات اليمانية في مكتبة لَيْدن جاءت بالشراء ـ كما يقول حافظ المكتبة ـ من اصطنبول .

وكان يوجد في اليمن تاجر ايطالي اسمه (جوزيف كابروتي) أقام بها ثلاث سنوات (١٣٢٨ ـ ١٣٣٢) ، (١٩١٠ ـ ١٩١٣) وكان له دكان بسوق الملح بصنعاء حصل على نحو (١٦١٠) مخطوط نقلها الى ايطاليا واهديت سنة (١٣٣٧) ١٩١٩ الى مكتبة الامبر وزيانا في ميلانو بمناسبة مرور ثلثمائة سنة على انشائها وكان بهذه المكتبة من قبل قرابة مائتي مخطوطة جاءت من اليمن واهديت اليها سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) . وسمعت ان التاجر احمد راوية من ذمار كان كلما ذهب الى الحديدة حمل معه اكياسا من المخطوطات لبيعها هنالك ومنها تحمل الى خارج اليمن وكان يشتري التاجر راوية الكتب من اصحابها

في ذمار بالجملة . وحصل العالم الايطالي (انسلدي) خلال وجوده في اليمن من سنة (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢) على مجموعة من الكتب كما حصل العالم المستشرق الايطالي روسي حينما كان في اليمن من سنة (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨) على (٥٥) مخطوطة وقد آلت هذه المجموعات الى مؤسسة كيتاني التي انتقلت الى الاكاديمية الاهلية بروما .

وكان الرحالة الالماني المشهور كارستن نيبور قد تمكن من الحصول على مجموعة نفيسة من المخطوطات حينما جاء الى اليمن (١٧٦١ ـ ١٧٦٧) وهي الآن في المكتبة الملكية في كوبنهاجن العاصمة الدنمركية وقد رأيت منها بعض المخطوطات حينما كنت في الدنمارك في شهر ايلول سنة ١٩٧٩م مدعواً من الحكومة الدنمركية.وحصل إدوارد غلازر المستشرق النمساوي خلال رحلاته الأربع الى اليمن فيما بين (١٨٨٢ ـ ١٨٩٢) على (٢٥٠) مخطوطة اشترتها مكتبة فينا ومكتبة برلين والمكتبة الوطنية في باريس .

ويوجد كثير من المخطوطات اليمانية في المتحف البريطاني وفي مكتبة كمبريدج وبودلين في اكسفورد ، ولا تخلو مكتبة من مكتبات جامعات اوروبا وامريكا الشهيرة من كتب خطية جاءت من اليمن ، وفي مكتبة الكونغرس في واشنطن بعض المخطوطات اليمانية رأيت منها (البرهان في معرفة عقائد الايمان) لعباس بن منصور بن عباس البريهي .

وقد حصل الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان على (٢٢٦) مخطوط يماني حينما كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في اليمن في العهد الملكي وقد نشر لها فهرساً خاصاً سنة ١٣٦٠ .

وثمة كتب اخرى يمانية متفرقة في انحاء العالم العربي وغيره لا يمكن حصرها .